المقدمة

الغزل في اللغة كما في اللسان : " حديث الفتيان والفتيات، وعند ابن سيده : اللهو مع النساء، وكذلك المَغْزَلُ، قال :

تقولُ لي العَبْرَى المُصابُ حليلُها أيا مالكٌ هل في الضعائنِ مَغْزَلُ ؟

ومُغازلتهنَّ محادثتهنَّ ومُراودَتهُنَّ، وقد غازلها ،والتَّغَزُّل التكلف لذلك ؛ وأنشد: صُلْبُ العصا جافٍ عن التَّغَزُّلِ

ورجل غَزِلٌ : متغزِّل بالنساء، على النسب أي ذو غَزَلٍ. وفي المثل : هو أغزلُ من امريْ القيس " .(١)

والغزل في الشعر العربي أنواع ؛ فمنه الغزل التقليدي الي يكون في مقدمات القصائد، والطويلة منها خاصة، يبتدي الشاعر بالغزل ليجذب إليه الأسماع، لأن الغزل تعبير عن عاطفة يشترك فيها الناس كبيرهم وصغيرهم، وبعدأن يستميل القلوب والعواطف إلى الغزل ينتقل إلى الموضوع الذي قصد لأجله نظم القصيدة، والشاعر لا يعبر عن تجربة حب حقيقية ولا يتغزل بامرأة بعينها، وإنما يعبر عن عواطف عامة، وقد تكون في بعض الغزل التقليدي مقدمات غزلية لا تقل جودة عن قصائد الشعراء العشاق، بفضل ما أوتي الشاعر من براعة فنية، ومصداق ذلك ما نجد في شعر جرير من الغزل الذي يظنه القاريء غزلَ عاشقٍ ، ولم يكن جرير قد أحب ومرَّ بتجربة حب حقيقية ، ومن أمثال هؤلاء الشعراء الذين يمثلون هذا الضرب من الغزل : زهير بن أبي سلمى، ولبيد، وأوس بن حجر، وحسان بن ثابت، وكعب بن

---

(١)اللسان : غزل .

زهير، وغيرهم في الجاهلية والإسلام .

والضرب الثاني من الغزل هو الغزل الحسي الذي يعبر عن تجارب عاطفية فيها لقاء وخلوات وحظ من النوال، وهَمُّ الشاعر أن يتغزل بمحاسن المرأة وجمالها الجسدي، ووصف ما كان ويكون بينه وبين المرأة، و لا يقتصر غزل الشاعر على امرأة واحدة بل يتغزل بنساء كثيرات، فهو يتتبع الحسن والجمال حيثما كان، وكثير من الشعر العربي من هذا النوع من الغزل الذي كان في الجاهلية واستمر على مدى العصور، وحتى العصر الحديث، ومن أبرز أعلام هذا الغزل امرؤ القيس في الجاهلية وعمر بن أبي ربيعة في الإسلام، ولشهرة عمر في هذا النوع من الغزل فقد أطلق بعض الباحثين على هذا الغزل بالغزل العمري .

وهناك نوع من الغزل ظهر مرافقاً للأحداث السياسية هو : الغزل الكيدي، وليس هو غزلاً حقيقياً وإنما هو غزل يراد به الإساءة إلى الخصوم والنيل منهم بالتغزل بالشريفات من نساء خصومهم، غزلاً بذيئاً مكشوفاً كي يغضب خصمه ويلحق به العار بأن ينال من عرضه، ويجعل الشاعر من امرأة خصمه هي التي تتهالك على الرجل وتعشقه وتطيعه، ومن أمثلة هذا الغزل غزل بعض شعراء اليهود بنساء المسلمين حين ناصر اليهود كفار قريش ضد المسلمين، فقد كان كعب بن الأشرف اليهودي يتغزل بأم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب ويجعلها عاشقة له ويخلو بها ليغضب خصمه وينال منه، وهو بطبيعة الحال لم يرَ أم الفضل ولكن سمع من النساء اسمها وعرف نسبها، ومن هذا الضرب من الغزل الكيدي غزل هدبة بن الخشرم وزيادة بن زيد، وكانا في سفر فنزل زيد يحدو ويرتجز متغزلاً بأخت هدبة، ونزل هدبة فارتجز متغزلاً بأخت زيادة، وأفحش كلاهما في هذا الغزل حتى أدى الأمر

إلى أن يقتتلا، وقتل هدبةُ زيادةَ وهو ابن عمه . ومن أمثلة هذا الغزل غزل عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بأخت عبد الرحمن بن الحكم، وكانا صديقين فاختلفا وصار كل منهما يتغزل بأخت صاحبه ويجعلها عاشقة له، حتى اشتهر أمرهما وأقيم عليهما الحد، وكذلك كان من أثر الخصومة بين الأمويين والأنصار أن تغزل هذا الغزل عبد الرحمن بن حسان بن ثابت برملة بنت معاوية أخت يزيد، وجعلها تتعشقه، ووصف جمالها وهي تخاصره وهما يتنزهان في القصر، وهو لم يرها ولم يعرف غير اسمها .(١)

أما الغزل العذري: فهو الغزل الصادق العفيف الذي يختص بامرأة واحدة يحبها حباً شديداً طاهراً، ومما يزيد عنف هذا الحب وشدة تعلق الشاعر بحبيبته أنه يحرم منها ويمنع من زواجه بها، وإذا ما استطاع أن يتزوجها، وهذا قليل، كما في قيس ولبنى، فإن حسد الأهل وكيد الكائدين يفرق بينهما، ويعيش العاشقان قصة عذاب موصول حتى الموت، وهذا الغزل هو الغزل الذي يعبر عن حب حقيقي، ولذلك سمي الحب العذري .

إن ارتباط اسم العذري بهذا الحب صار مصطلحاً لكل حب عفيف صادق يختص بحب امرأة واحدة، سواء أكانت قصة هذا الحب في الجاهلية أم في الإسلام، وسواء أكان الشاعر من بني عذرة أم من غيرها من القبائل .

وقد عنى العلماء المسلمون منذ زمن متقدم بدراسة هذا النوع من الحب ، فألفوا فيه كتباً، وتواصل التأليف فيه حتى في العصور المتأخرة ثم العصر الحديث، وننوه هنا ببعض الكتب والدراسات التي تناولت الحب بعامة، (٢)

---

(١) ينظر في تفصيل هذا: الغزل في الشعر الجاهلي لأحمد الحوفي .

(٢)راجع الحب العذري لكامل الشيبي ـ المقدمة .

وكان من أولها : كتاب " الأسمار والأخبار "، لهشام بن محمد بن السائب الكلبي(ت ٢٠٦هـ) وقد ضمّنه أخباراً وموضوعات عن الحب، و" كتاب المتيمين "، لأبي الحسن المدائني (ت٢١٥ هـ)، ثم ألف إسحاق بن إبراهيم الموصلي (ت ٢٣٥ هـ)كتاب " أخبار جميل " وكتاب "أخبار كُثَيِّر "، أما الزبير بن بكار(ت ٢٥٦ هـ) فقد صنف ثلاثة كتب هي : "أخبار توبة وليلى "، و " أخبار المجنون "، و " أخبار كثيِّر "، ولم تصل هذه المصنفات، بل جاء ذكرها في الفهرست لابن النديم ومعجم الأدباء لياقوت الحموي .

ومن الكتب النفيسة التي ذكرت ولم تصل أيضاً كتاب " الرياض " لمحمد بن عمران المرزباني (ت ٣٧٨ هـ)، ويتألف هذا الكتاب كما يذكر ابن النديم في الفهرست من ثلاثة آلاف ورقة، وتضمن : أخبار المتيمين من الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين، وفيه ذكر الحب وما يتشعب منه ، وذكر ابتدائه وانتهائه، وما ذكرَ أهلُ اللغة من اسمائه وأجناسه، واشتقاق تلك الأسماء بشواهد من أشعار الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين والمحدثين .(١) ثم تتابعت المؤلفات وكثرت فيما بعد ، وزادت عمقاً وتفصيلاً في القرن الرابع وما بعده، فألف أبو بكر الأصفهاني (ت ٢٩٧هـ) "كتاب " الزهرة "، وألف ابن حزم الأندلسي(ت ٤٥٦ هـ) كتاب " طوق الحمامة في الألفة والألاف "، ثم ظهر كتاب "مصارع العشاق " للسراج القاريء (ت ٥٠٠ هـ)، و " ديوان الصبابة " لابن حجل(٧٧٦ هـ)، و " تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق " لداود الأنطاكي (ت ١٠٠٨هـ) ، وآخر الكتب التي نذكرها وقد نهجت النهج القديم هو كتاب : " الدر

---

(١)الفهرست ص ١٤٧ ط طهران .

المنثور في طبقات ربات الخدور " لزينب بنت فوّاز العاملية (ت ١٣٣٣ هـ)، وهو كتاب كبير تضمن سير المعشوقات وأخبار العشاق وأشعارهم .

ومن الكتب التي عنيت بالحب والغزل العذري على اختلاف مذاهبها واتجاهاتها في هذا العصر الحديث : " حديث الأربعاء " لطه حسين (١٩٢٤م تاريخ الصدور)، و "مدامع العشاق " لزكي مبارك ١٩٢٥م، ومسرحية أحمد شوقي " مجنون ليلى " ١٩٣٢م، ثم أصدر زكي مبارك " العشاق الثلاثة " : جميل بثينة وكثير عزة والعباس بن الأحنف، في سلسلة إقرا ١٩٤٥، وكذلك نشر العقاد في هذه السلسلة كُتيِّباً عن جميل بثينة، ومن الدراسات الجامعية كتاب : " الحب العذري ؛ نشأته وتطوره " لأحمد عبد الستار الجواري ١٩٤٨م ، و " تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام " لشكري فيصل ١٩٤٩م ، و " الحب العذري " لموسى سليمان ١٩٦١م، وكتاب " الحب المثالي " ليوسف خليف ١٩٦١م، وصدر كتاب أحمد تيمور باشا " الحب العذري " ١٩٦٤ م ، وكتاب " الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية " لغنيمي هلال ١٩٧٦م وأصدر محمد حسن عبد الله " الحب في التراث العربي " ١٩٨٠ م سلسلة عالم المعرفة، ولاشك أن هناك مؤلفات كثيرة عن الغزل والحب العذري لم نقف عليها ، وقد تجاوزنا عن ذكر الدراسات والكتب التي تتناول الغزل والحب من الناحية الفلسفية والنفسية أو الحب عند الأمم الأخرى، فهذا أمر واسع وخارج عن مضمون دراستنا .

وقد بنينا كتابنا هذا على خمسة فصول، تناول أولها نشأة الغزل العذري واختلاف النقادالمحدثين فيه، فمنهم من جعله نتاج الإسلام وأثراً من آثاره، وغضوا الطرف عن شعراء الجاهلية، ومنهم من جعلوا بدايته جاهلية بدأت بعنترة والمرقش الأكبر وشملت شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي،

وقد ملنا إلى هذا الجانب وبَيَّنا مبررات هذا الميل .

وتناول الفصل الثاني موضوعات الغزل العذري التي طرقها الشعراء وأكثروا من ذكرها ونفَّسوا عن أشواقهم وعواطفهم من خلالها ، ومن هذه الموضوعات : البَيْن والفراق، وغراب البين، والطيف وخيال المحبوبة، وأحوال الشاعر العذري ومعاناته، والعذال والوشاة، وجمال المرأة المحبوبة ومحاسنها ، وبخل وتمنُّع الحبيبة، وما إلى ذلك من موضوعات .

أما الفصل الثالث فقد تناول دراسة العشاق في الجاهلية، وقصة حبهم وما قالوه من شعر عفيف في حبيباتهم، وفي هذه الدراسة : المرقش الأكبر وأسماء، وعبد الله بن عجلان وهند، وقيس بن الحدادية ونعم .

وتناول الفصل الرابع الشعراء العشاق في صدر الإسلام وهم : مالك بن الصمصامة الجعدي وحبيبته جنوب، وعبد الله بن علقمة وحبيبته حُبَيْشَة، وعروة بن حزام وحبيبته عفراء .

وكان الفصل الأخير وهو الفصل الخامس وهو أكبر الفصول إذ تعرض لدراسة أشهر الشعراء العذريين وقصة حبهم، وهم : قيس بن الملوح المشهور بمجنون ليلى، وقيس بن ذريح المعروف بقيس لبنى، وجميل بثينة ، وتوبة بن الحُمَيِّر وليلى الأخيلية، وكثَيِّر عَزَّة، وذو الرمة وحبيبته ميّ، ويزيد بن الطثرية ووحشية، وابن ميادة وأم جحدر، وعبد البرحمن القس وسلامة، وكان خاتمة المطاف وضاح اليمن وحبيبته روضة .

وبعد فما كان لنا ان نتناول هذا الفن ونخوض في عُبابه ونحن في خريف العمر، إلا لما وجدنا في قصص الحب هذه وشعر الغزل من رفعة وسمو وتطهير للنفس وصقل للأذواق وإرهاف للشعور، وقد حاولنا أن نعرض من خلال هذه الصفحات صورةً مشرقة من صور التراث الذي يمجد الحب الطاهر

الذي يهذب النفوس ويجعلها تتسامى عن أدران الشهوات الرخيصة، فالمرأة في هذا الحب روح شفاف جميل ، فيها كل معاني النبل والحب والجمال .

وما التوفيق إلا بالله والحمد لله أولاً وآخراً .

يحيى وهيب الجبوري